



الأربعاء 24 سبتمبر 2025 08:00 م

يُعد الغدر في الإسلام من كبائر الذنوب والصفات الذميمة التي حذر منها الله ورسوله بشدة، لما له من آثار مدمرة على الفرد والمجتمع. في كتاب الله الكريم، نجد حديثاً مفصلاً عن الصفات الإنسانية، بما فيها من خير وشر، وغدر وخيانة، وصدق وكذب. إن معرفة هذه الصفات لا تحقق العبودية لله تعالى فحسب، بل تكشف لنا أيضاً عن طبيعة البشر المعقدة، حتى لا تُفاجأ بمواقف غير متوقعة تؤدي إلى الندم والألم. قراءة متأنية للقرآن والسنة النبوية تكشف لنا هذه الطبيعة وتبين لنا كيفية التعامل معها بحكمة.

## الغدر: صفة إنسانية ذميمة حذر منها الإسلام

ومن الصفات الإنسانية الذميمة التي حذرنا الله تعالى منها في كتابه وعلى لسان نبيه هي صفة الغدر. وللتشجيع من شأن هذه الصفة والتشهير بأصحابها، نجد في صحيح البخاري حديثاً عظيماً:

## عقوبة الغادر يوم القيامة: فضيحة على رؤوس الخلائق

روى البخاري في صحيحه عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: "لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - قَالَ أَحَدُهُمَا: يُنْصَبُ، وَقَالَ الْآخَرُ: يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يُعْرَفُ بِهِ".

عقوبة الغادر يوم القيامة أن يقف تحت راية يراها الناس وينظرون إليها فيفضحه الله تعالى بين الخلائق، وقد فهم علماء المسلمين خطر الغدر وشره على دين الناس وديارهم، لذا وضع الإمام البخاري هذا الحديث تحت عنوان: "إِثْمُ الْغَادِرِ لِلْبُرِّ وَالْفَاجِرِ" وهذا يدل على تجريم الغدر سواء كان المغدور به محسناً أو مسيئاً طائعاً أو عاصياً

## حرمة الغدر حتى مع غير المسلمين

إن مبدأ الوفاء بالعهد في الإسلام مطلق ولا يتجزأ، حتى مع غير المسلمين. وجه الله تعالى نبيه إلى الوفاء بعهدهم فقال سبحانه: (وَإِذَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) [الأنفال: 58] يقول تعالى لنبيه: (وَإِذَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ) أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عاهدتهم (خِيَانَةً) أي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود، (فَانْذِرْهُمْ) أي: عهدهم (عَلَى سَوَاءٍ) أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم، حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي تستوي أنت وهم في [العلم بذلك].. (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) أي: حتى ولو في حق الكفار لا يحبها أيضاً [1]

وفي السيرة النبوية قصص وفاء وغدر؛ وفاء خرج من الإسلام ونبيه وأهله بمقتضى الإيمان بالله تعالى، وقد كان بين الدين والوفاء «عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَلَّمَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ" [2]

## قصة غدر يهود بني النضير: درس من السيرة النبوية

عاهد النبي ﷺ سكان المدينة من اليهود حين دخل إليها فيما يعرف "بوثيقة المدينة" وكان من بين بنود هذه الوثيقة الاشتراك في حماية المدينة وبعض الأعباء المالية التي تتطلبها الدولة الوليدة، وبناء على هذا الاتفاق ذهب النبي ﷺ -إلى يهود بني النضير يطلب منهم أن يشتركوا في دفع دية قتيلين قتلتهما مسلم خطأ، وكان هذا الأمر شائعاً بين المتحالفين فانظر إلى حسن استقبالهم وسوء تدبيرهم ومكرهم.

(قَالُوا: نَفْعُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا أَحْبَبْتَ قَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَرَوْنَا وَأَنْ تَأْتِيَنَا، اجْلِسْ حَتَّى نُطْعَمَكَ! وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَبِدٌّ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ، ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَمَتَنَاجَوْا، فَقَالَ حِيَّيْ بِنُ الْأَخْطَبِ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، قَدْ جَاءَكُمْ مُحَقَّدٌ فِي نَفِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يَبْلُغُونَ عَشْرَةَ فَاطْرَحُوا عَلَيْهِ جِازَةً مِنْ مَوَاقِيقِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ تَحْتَهُ فَاقْتُلُوهُ، فَلَنْ تَجِدُوهُ أَخْلَى مِنْهُ السَّاعَةَ!

فَبَانَتْ إِنْ قُتِلَ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَلَجِقَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بِحَرَمِهِمْ، وَبَقِيَ مِنْ هَاهُنَا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ خَلْفَاؤُكُمْ، فَمَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَمِنْ الْآنَ! فَقَالَ عَفْرُو بْنُ جَحَاشٍ: أَنَا أَطَهَرُ عَلَى الْبَيْتِ فَاطْرَحْ عَلَيْهِ صَخْرَةً قَالَ سَلَامٌ بِنُ مِسْكَمٍ: يَا قَوْمُ، أَطِيعُونِي هَذِهِ الْفَرَّةُ وَخَالِفُونِي الدَّهْرَ! وَاللَّهِ إِنْ مَعَلَّيْتُ لِيُخْبِرَنَّ بَأَنَّا قَدْ غَدَرْنَا بِهِ، وَإِنْ هَذَا نَقُصُّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَا تَفْعَلُوا! أَلَا فَوَ اللَّهِ لَوْ مَعَلَّيْتُ الَّذِي تُرِيدُونَ لَيَقُومَنَّ بِهَذَا الدِّينِ مِنْهُمْ قَائِمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَسْتَأْصِلُ الْيَهُودَ وَيُظْهِرُ دِينَهُ!

وَقَدْ هَبَّتِ الصَّخْرَةُ يُرْسِلُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَحْذَرُهَا، فَلَمَّا أَشْرَفَ بِهَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا هَقُّوا بِهِ، فَتَهَضَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَةً، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ أَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ وَهُمْ يَطْنُونَ أَنَّهُ قَامَ يَقْضِي حَاجَةً، فَلَمَّا بَيَّنَّسُوا مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: مَا مَقَامُنَا هَا هُنَا بِشَيْءٍ»[3]

لقد رأى أهل الغدر في وجود النبي ﷺ في ديارهم مع عدد قليل من أصحابه فرصة عملياتية كبيرة قلما تتوافر، وفي لحظات عمل الغدر عمله ووضعت الأهداف ورسمت الخطة؛ حبر يلقي من أعلى البيت يقتله صلوات الله وسلامه عليه يتفرق المجتمعون حوله ﷺ فيعود أهل مكة إليها ويبقى الأوس والخزرج وهم حلفاء اليهود القدامى وينتهي بذلك هذا الخطر الكبير، وفي مقابل صوت الغدر كان صوت الحق الذي نطق به سلام بن مشكم وأخبرهم بأن النبي ﷺ سيعلم بالغدر وحتى لو استطعتم أن تقتلوه سيبقى من يعاقبكم على هذه الغدر ﷺ انتصر الغدر على صوت الحق ومع هذا المكر الشديد إلا أن الله تعالى بالغ أمره (وَيَعْزُزُونَ وَيَعْكُزُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْفَاكِرِينَ) [الأنفال: 30] أنقذ الله تعالى نبيه وأخبره بما تخفيه صدور الغدارين فخرج مسرعا دون أن يتكلم، انتظر أصحابه رضوان الله عليهم عودته لكنه لم يعد فتبعوه ﷺ انظر إلى أهل الغدر وهم يمدون يدهم بالسلام وينطقون بالترحاب ويعدون بالمعونة وأعينهم تبحث عن نقطة ضعف، وجوههم تبسم بينما تستعد يدهم الأخرى لكي تضرب الضربة القاصمة، وهذه الصفات السيئة يتوارثها الأبناء عن الآباء والأبناء عن الأجداد حتى تصل إلى عصرنا وتبقى إلى يوم القيامة ﷻ

وقد سجل الله تعالى خيانتهم وغدرهم في كتابه الكريم (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 155]

وعندما ننظر في الغدر لنعلم مصادره في هذه النفوس الخبيثة وما ينتج عنه من قسوة في التعامل مع الآخر وصفها الله تعالى بقوله (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 155] سبب هذه القسوة هو الاستعلاء على الآخرين والشعور بالتفوق العرقي، وقد أعلنوا ذلك للنبي -ﷺ- حين دعاهم للإسلام وحذرهم غضب الله تعالى ونقمته « فقالوا: ما نخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله عز وجل فيهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} إلى آخر الآية ﷻ» [4]

هذا الشعور بالتميز والفضلية يحميهم من الشعور بالذنب تجاه الآخرين فأموال غيرهم ودمائهم وما يملكون لا حرمة لها «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَقْبِيانِ سَبِيلٌ» أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا"[5]

### التعامل مع أصحاب النفوس الغادرة

علمنا الله تعالى كيف نتعامل مع أهل الغدر فهم صنف من البشر ستلقاتهم في كل مكان فعليك:

**أولاً:** إدراك أن قوة الله فوق قوتهم: وذلك أن تدرك المدى الذي يمكن أن يصلوا إليه وأن غدرهم يصور لهم قدرة لا حدود لها، لكن الله تعالى يكشف عن خطأ هذه الحساب فيقول جل جلاله {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَاؤَاهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (57)} [النور]، مهما بدا لك من قوتهم وبطشهم فهم وغيرهم لا يعجزون الله تعالى فقوتهم ممنوحة من ربهم: {لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196)} مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)} [آل عمران: 196-197].

**ثانياً:** السعي لامتلاك القوة الرادعة: إدراك أن قوة الغدر مهما بلغت يمكن التغلب عليها وهذا يحملنا على السعي لذلك والعودة لقوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِتُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ (60)} [الأنفال: 60] هذا الإعداد يوفر للمسلمين قوة الردع و يحميهم من العدوان عليهم بل التفكير فيه ﷻ

**ثالثاً:** اليقظة والحذر الدائم: ينبهنا الله تعالى إلى أهمية اليقظة والحذر من الغفلة فالعدو منتبه ينتظر لحظة تنام فيها الأعين أو تتوه فيها العقول لكي يقوم بعمله الغادر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا ) [النساء: 71] «ياأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله (تَبَاتٍ) أي: جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: (فَانْفِرُوا تَبَاتٍ) أي: عصبا، يعني: سرايا متفرقين، {أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا} يعني: كلكم»[6]

**رابعاً:** الاعتصام بجل الله والوحدة: إن أعظم سلاح في مواجهة الكيد هو التمسك بدِين الله ووحدة الصف ﷻ يقول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (103)} [آل عمران: 103] فحبل الله تعالى فيه النجاة والبقاء مهما عظم الكيد واشتد الغدر وتذكروا دوما (وَلَا يَجِبُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (فاطر: 43).